خلدون البرغوثي *

مسيرة الأعلام من وجهة نظر صهيونية: من انتصار علماني إلى هيمنة قومية - دينية

شكلت مسيرة الأعلام «أو رقصة الأعلام» حسب التسمية الرسمية لها، حالة شحن وتوتر غير مسبوقة في فلسطين بشكل عام، وفي مدينة القدس - التي باتت مركز الصراع الفلسطيني الإسرائيلي - بشكل خاص. وجاءت مسيرة الأعلام بعد مواجهات وعمليات قمع واقتحامات وحملات اعتقالات غير مسبوقة في المدينة المقدسة خاصة خلال شهر رمضان، وما تلاه من أحداث خاصة استشهاد شيرين أبو عاقلة وما حدث من اعتداء وحشي على جنازتها. وسادت أجواء تشابه أجواء ما قبل التصعيد العسكري في أيار ٢٠٢١، لكن امتناع الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة عن التصعيد ردًا على مسيرة الأعلام في القدس هذا العام، ساهم بشكل كبير في إبقاء التركيز على ما يحدث في القدس.

تستعرض هذه المقالة، التطور التاريخي لمسيرة الأعلام من ناحية ومن يقف وراءها تنظيمًا ودعمًا. كيف بدأت المسيرة باعتبارها انتصارًا عسكريًا بداية لحكومة يقودها اليسار العلماني (حزب العمل)، لتصبح في النهاية حكرًا على الصهيونية الدينية. وتبرز هذه المقالة أيضًا التحولات التي طرأت على المشهد اليهودي في القدس بشكل خاص، وتراجع الحضور العلماني في ظل انتشار الصهيونية الدينية بشكل خاص، والحريدية بشكل عام. كذلك تتناول الدراسة الجدل حتى في داخل التيارات الدينية اليهودية حول مسيرة الأعلام، ومواقف اليسار منها أيضًا.

ما هي مسيرة الأعلام؟

مع اندلاع حرب ١٩٦٧ شرع الجيش الإسرائيلي بعملية عسكرية لاحتلال الجزء الشرقي من مدينة القدس الذي كان تحت الحكم الأردنية، وفي السابع من حزيران عام ١٩٦٧ أعلن قائد لواء المظليين (احتياط) في الجيش

*باحث وصحافي متخصص في الشأن الإسرائيلي.

تشير المصادر العبرية إلى أن بدايات مسيرة الأعلام كانت عشوائية وغير منظمة، وبمبادرة من الحاخام تسفي يهودا كوك حين كان يستضيف «احتفال تحرير القدس» في المدرسة الدينية «مركاز هارأف»، ثم ينتهي الاحتفال بمسيرة إلى الحائط الغربي حيث «يرقصون ويغنون».

الإسرائيلي مردخاي جور عبر نظام الاتصال اللاسلكي تمكن الجيش الإسرائيلي من احتلال المسجد الأقصى قائلًا إن «جبل الهيكل بأيدينا».[1]

ولتعزيز مكانة الاحتلال في القدس، «منذ الإعلان عن إقامة إسرائيل أصبحت القدس (بحسب المفهوم والتعريف الإسرائيلي) عاصمة إسرائيل. ولما احتلت إسرائيل القدس الشرقية أعلنت عن تحقيق وحدة القدس بشطريها، وأنها أصبحت عاصمة إسرائيل الأبدية والواحدة التي لن تتجزأ. ويتم إحياء يوم توحيد القدس في احتفالات دينية ورسمية، بحيث تنظم طقوس دينية عند حائط المبكى، وتنظم مسيرة القدس التي ابتدعها العقل الصهيوني، وتجرى مراسم إحياء ذكرى الجنود الإسرائيليين الذين سقطوا في معارك القدس، وخاصة في حرب حزيران ١٩٦٧».[2]

ففي ٢٧ حزيران ١٩٦٧، «صادقت القوانين التي أقرها الكنيست على توحيد القدس عمليًا ومنح شرعية للقانون الإسرائيلي في كل مسطح المدينة الموحدة». وتضمنت هذه القوانين تغيير الحدود البلدية لمدينة القدس، بما يضاعف مساحتها ثلاث مرات، ومنح فلسطينيي شرق القدس مكانة مقيمين دائمين. كما تضمنت القوانين هذه اعتماد يوم ٢٨ أيار حسب التقويم العبري كيوم عيد للقدس، والذي يمثل العلاقة التاريخية الخاصة بين الشعب اليهودي ومدينة القدس. وفي العام ١٩٨٠ سن الكنيست قانون أساس: القدس عاصمة إسرائيل، الذي «أقر أن القدس هي عاصمة دولة إسرائيل ومقر مؤسسات الحكم». وفي ٢٣ آذار ١٩٩٨ صادق الكنيست على قانون يوم القدس لسنة ١٩٩٨ الذي أقر يوم ٢٨ أيار حسب التقويم العبري، اليوم الذي حررت فيه مدينة القدس بعد حرب الأيام الستة، كيوم وطني.[3]

مسيرة الأعلام

يشير مدرس مادة التلمود في جامعة بار إيلان البروفسور جيفري وولف، إلى أن الاحتفال الأول بعد احتلال القدس كان في العام نفسه، وكان عبارة عن تجمع في ساحة الحائط الغربي (حائط البراق) ولم يشاؤوا أن يكون الاحتفال مبالغًا فيه (للتباهي).[4]

لكن وولف يشير أيضًا إلى ما يصفها بـ«الجذور الأعمق لمسيرة الأعلام في التاريخ اليهودي»، ويحاول وولف الربط بين ما يسميه «الحج» الذي كان يقوم به زوار القدس من جميع أنحاء العالم ويصلّون خلال طوافهم عند كل بوابة من بواباتها.

ويبدو أن وولف يريد ترسيخ فكرة أن مسيرة الأعلام ليست أمرًا مستحدثًا مرتبطًا باحتلال المدينة عام ١٩٦٧، بل لها جذور يهودية قديمة، تبرر إحياء هذه المسيرة في الوقت الحاضر.

تشير المصادر العبرية إلى أن بدايات مسيرة الأعلام كانت عشوائية وغير منظمة، وبمبادرة من الحاخام تسفي يهودا كوك حين كان يستضيف «احتفال تحرير القدس» في المدرسة الدينية «مركاز هاراف»، ثم ينتهي الاحتفال بمسيرة إلى الحائط الغربي حيث «يرقصون ويغنون». بعد سنوات عدة من المسيرات الأولى التي نظمتها مدرسة «مركاز هاراف»، تم توسيع دائرة المشاركين عبر دعوة مؤسسات دينية وتعليمية أخرى للمشاركة في المسيرة، وتم نقل وقت الاحتفال من ساعات الليل إلى النهار في العام ١٩٧٤، وبدأ يتحول الاحتفال إلى شعبي أكثر وأكثر.[5]

وتنطلق مسيرة الأعلام من القدس الغربية، لتنتهي في «حائط البراق»، الجدار الغربي للمسجد الأقصى. وعادة ما تنقسم عند أسوار البلدة القديمة، وتتغير بعض مداخل المسيرة حسب الظروف الأمنية، خاصة في السنوات الأخيرة، فأحيانًا كان يُستثنى باب العمود من مساراتها لتجنب وقوع صدام بين المشاركين في المسيرة والفلسطينيين المقيمين في الحي الإسلامي في المدينة.

وعادة ما يشارك في المسيرة نحو ثلاثين ألفًا، لكن في العام الحالي حاولت الشرطة الإسرائيلية تقييد عدد المشاركين بستة عشر ألفا فقط، ثمانية آلاف من الذكور يسلكون مسارًا إلى باب العمود حيث يؤدون رقصة الأعلام، ثم يعبرون الحي الإسلامي في طريقهم إلى ساحة

فلسطينيون يتصدون لاستفزازات مشاركين في مسيرة الأعلام في أيار ٢٠٢٢. (وكالات)

البراق، وثمانية آلاف من الإناث يدخلن البلدة القديمة من باب الخليل إلى حي الأرمن وصولًا إلى ساحة البراق أيضًا، حيث ينظم الاحتفال المركزي. مع ذلك تشير صحيفة يديعوت أحرونوت، إلى أن عدد المشاركين في المسيرة تجاوز خمسين ألفًا، تخللتها اعتداءات على الفلسطينيين في البلدة القديمة، وعلى مركباتهم في الشوارع المحيطة بها، نفذها نشطاء في حركتي «لا فاميليا» و«لاهافا». وحركة «لا فاميليا» تضم مشجعي فريق «بيتار يروشلايم» لكرة القدم، وهي معروفة بخطابها العنصري وسلوكها العنيف ضد العرب. أما حركة «لاهافا» هي منظمة مناهضة للعرب بما في ذلك الزواج المختلط بين يهود وفلسطينيين، وتورط أعضاؤها في هجمات إحراق كنائس ومدارس مختلطة تشمل العرب واليهود.

وقال يائير لبيد خلال توليه منصب وزير الخارجية إن احتفالات «يوم القدس» استولت عليها مجموعات مثل "لا فاميليا" و«لاهافا» وحولوا هذا اليوم إلى «يوم كراهية» كما نقلت عنه صحيفة «تايمز أوف إرائيل».

وفي الشعارات التي يُطلقها مشاركون في المسيرة، ما ينم عن حجم العنصرية تجاه الفلسطينيين والعرب والمسلمين. أكثر الشعارات ترديدًا هو «الموت للعرب» ويُطلق بشكل جماعي خاصة في المواقع التي يكون في تواجد فلسطيني. كذلك يكررون عبارة «محمد مات»، وشعار «القدس لنا»، ودعوات إلى «حرق شعفاط» و«لنحرق قراهم» في إشارة إلى الاعتداءات المسماة هجمات «تدفيع الثمن» التي تستهدف قرى الفلسطينيين وممتلكاتهم، وخلال أحد هذه الاعتداءات أحرق حتى الموت ثلاثة من أفراد أسرة دوابشة عام ٢٠١٥ في قرية دوما قرب نابلس. ولوحظ في المسيرة الأخيرة إشارة المستوطنين إلى استشهاد شيرين أبو عاقلة بقول أحدهم بشماتة ومرات عدة مخاطبًا الصحافيين الذين كانوا يغطون المسيرة «شيرين ماتت... شيرين ماتت..القدس لنا.. شيرين ماتت... شيرين ماتت».

وتحظى هذه المسيرة بتمويل من جمعية «عام كالبيا» الدينية الاستيطانية والبلدية الإسرائيلية في القدس ووزارة التربية والتعليم الإسرائيلية وشركة تطوير وإعادة تأهيل

لكن الحاخام كوك تبنى تصوّرًا مختلفًا عن التوبة يقوم بالأساس على أنّ عودة شعب إسرائيل إلى أرضه وخلاصه القوميّ هي التوبة، ثم تبنى كوك الابن، الذي أصبح القائد الروحيّ البارز للصهيونيّة الدينية، ورئيس «مركاز هراف»، هذا التوجّه، معتبرًا أنّ قيام دولة «إسرائيل» مرحلة مركزيّة في الخلاص اليهوديّ، وعودة اليهود إلى إسرائيل والاستيطان في «يهودا والسامرة»، هو من أهمّ محطات هذا الخلاص.

الحي اليهودي، ووصل حجم التمويل عام ٢٠١٨ إلى نحو ٣٠٠ ألف دولار.

«مركاز هاراف» نقطة انطلاق المسيرة و«صهينة فكرة الخلاص»

«مركاز هاراف»، مدرسة دينية تعرّف نفسها بأنها «أم المدارس الدينية الصهيونية»، وأعلاها مكانة، كذلك تعتبر نفسها حاملة لواء جمهور الصهيونية الدينية. يتولى خريجوها مواقع في مستويات مختلفة، من المناصب الحاخامية والتدريس والمناصب العامة وقادة في الجيش وفي الأكاديميا وغيرها. وساهم رجال الدين اليهودي الذي تخرجوا منها في فتح مئات المدارس والمؤسسات الدينية، ما ترك أثرًا كبيرًا لهذه المدرسة على الحركة الدينية القومية، لدرجة اعتبار المدرسة ذاتها حركة دينية قومية قائمة بذاتها تحقيقا لرؤيا مؤسسها الحاخام أبراهام إسحق هكوهين كوك (١٨٦٥ – ١٩٣٥). وكوك هو فعليًا الأب الروحي لفكرة الصهيونية الدينية، التي تتجلى في الربط بين الخلاص في المفهوم الديني والصهيونية في المفهوم السياسي.

يرتبط «الخلاص» بالشتات الذي يعتبره المتدينون اليهود عقابًا على خطاياهم، وأنّ الله سيخلّص اليهود من الشتات في المستقبل المجهول، لكن عليهم أنّ يتوبوا عن الخطايا.... وهذا يعني أنّ الشتات لا ينتهي قبل مجيء المسيح، لذلك كانت التيارات الدينيّة اللاصهيونية، خصوصًا الـ«حريديم»، تعارض تأسيس دولة يهوديّة لجمع الشتات اليهوديّ قبل مجيء المسيح.[٦]

لكن الحاخام كوك تبنى تصوّرًا مختلفًا عن التوبة يقوم بالأساس على أنّ عودة شعب إسرائيل إلى أرضه وخلاصه القوميّ هي التوبة، ثم تبنى كوك الابن، الذي أصبح القائد الروحيّ البارز للصهيونيّة الدينية، ورئيس «مركاز هراف»، هذا التوجّه، معتبرًا أنّ قيام دولة «إسرائيل» مرحلة مركزيّة في الخلاص اليهوديّ، وعودة اليهود إلى إسرائيل والاستيطان في «يهودا والسامرة»، هو من أهمّ محطات هذا الخلاص.[٧]

بهذا نجح كوك في ربط فكرة الخلاص الديني بالصهيونية، معتبرًا أن الصهيونية وسيلة لجمع شتات اليهود، ليساهم ذلك في الوصول إلى الغاية وهي الخلاص، فبات قيام دولة إسرائيل (الذي كان محرمًا لدى معظم الحريديم، ولا يزال كذلك لدى حركة ناتوري كارتا مثلًا)، رافعة بالنسبة الصهيونية الدينية تحقق الشتات للوصول إلى عودة المسيح، فالخلاص.

بدايات مسيرة الأعلام

يظهر تقرير أخباري مصور للصحافي منشيه راز في أرشيف القناة ١١ العبرية بتاريخ ١٩٧٦/٥/٢٨، ما قد تكون المسيرة الأولى بشكلها الحالي التي دعا لها الحاخام كوك، وشارك فيها الآلاف من مريديه. ويوحي نص التقرير إلى أن الحدث بهذا الشكل الذي يظهره التقرير كان الأول من نوعه، فقد «امتلأت شوارع القدس المهجورة في ساعات بعد منتصف الليل فجأة بالآلاف من مريدي ومعجبي الحاخام تسفي يهودا كوك بعد أن سمعوا أقواله حول وجوب الغناء والرقص والتوجه إلى الحائط الغربي. وانضم لهم بفرح رئيس الأركان الجنرال مردخاي جور، وإلى جانب الحاخام كوك وآلاف المشاركين قرأ رئيس الأركان بعض ما كتبه بعض جنوده الذين شاركوا في احتلال المدينة».[٨]

وقال الحاخام كوك خلال المسيرة «... إننا وصلنا إلى بيتنا، وبعد وصولنا إلى بيتنا... لا توجد قوة في العالم ستبعدنا عنه».[٩]

ويظهر أرشيف هيئة البث الإسرائيلية احتفالات «يوم القدس» في الأعوام التالية ١٩٧٧ و١٩٧٨ أيضًا.

مع الوقت تحولت هذه المسيرة من مسيرة متواضعة

إلى حدث كبير، وهيمن عليها التيار الديني - الصهيوني حتى في ظل حكم حزب العمل. وحظيت المسيرة مع الوقت بدعم حكومي رسمي، سواء من وزارة التربية والتعليم، ووزارة شؤون القدس والتراث اليهودي اليوم، إلى جانب رعاية بلدية الاحتلال في القدس لهذه المسيرة.[١٠]

وتؤكد أحداث مسيرة الأعلام الأخيرة حدوث تناغم في مواقف الأطراف الرسمية السياسية والأمنية، مع القائمين على المسيرة، عبر تهيئة الظروف الأمنية واللوجستية لها، إذ نشرت الشرطة الإسرائيلية ٣٠٠٠ شرطي كانت مهمتهم إخلاء مسار المسيرة خاصة في الحي الإسلامي من الفلسطينيين وتوفير الأمن للمشاركين في المسيرة، وقمع أي محاولة فلسطينية للرد على المسيرة. ووفر المستوى السياسي الغطاء للمسيرة، عبر الاستجابة مع المستويات الأمنية المتمثلة في مواقف الشرطة والشاباك والموساد والجيش ومجلس الأمن القومي، لمطالب السماح للمسيرة بالوصول إلى باب العمود والعبور من الحي الإسلامي إلى ساحة البراق.

مسيرة الأعلام ونهاية القومية - الليبرالية

يرصد د. بن بورنشتاين الأستاذ في قسم علم الاجتماع وعلم الإنسان في جامعة تل أبيب التحولات في المجتمع الإسرائيلي خاصة النماذج القومية والليبرالية في النظام الاجتماعي الإسرائيلي.

وتحت مقالة نشرها عام ٢٠١٨ بعنوان «مسيرة رقصة الأعلام: هل هي نهاية الرؤيا القومية - الليبرالية؟» يقول بورنشتاين: «إلى جانبي في باب العمود كان يجلس رجل مسن خلال مسيرة الأعلام، وقال بلهجة ساخرة «أعلام ورقصات.. كانت هذه (في الماضي) تظاهرة لليسار»، إلى جانبنا كان فتى ينهي أمام أصدقائه خطابًا يصيبك بالقشعريرة، كان الخطاب انفعاليًا ومليئًا بالأمثلة، يقول الفتى «أقسم بحياة أمي لو رأيت عربيًا أو يساريًا أو حتى شرطيًا، فسأقتله في مكانه، سأقتله (...) أتمنى أن أرى امرأة عربية حبلى كي أضربها على بطنها»، وبعد دقائق سمعت شخصًا ينادي على الرجل المسن بلقب «أيها الحاخام»، قام المسن وعلى كتفه بندقية M-16 وذهب بعيدًا مع الفتية باتجاه البلدة القديمة (...) مسيرات الأعلام المقبلة لن تكون مختلفة عن هذه».[١١]

بعد هذه المقدمة يشير بورنشتاين إلى الرؤية القومية – الليبرالية - الصهيونية، ويصفها بأنها «سبقت عصرها حتى على مستوى الفكر العالمي، وتضمنت منذ بدايتها عالمين متوازيين، عالم الطائفية التي تسعى إلى تمييز الأمة اليهودية والاحتفال بها...، وكذلك العالم الليبرالي بجذوره العميقة، الذي يأخذ دائمًا في الاعتبار الفرد، وكذلك من هم خارج حدود هذه الطائفة».[١٢]

ويناقش بورنشتاين مثالية «القومية - الليبرالية - الصهيونية»، لكنه يشير إلى مفهومها من وجهة نظر زئيف فلاديمير جابوتنسكي ومن سار على دربه مثل مناحيم بيغن، وكذلك من وجهة نظر حزب المتدينين الوطنيين «مفدال»، فكل هؤلاء لم يستطيعوا أن يتخلوا عن القومية اليهودية، ولم يكونوا مستعدين للانجرار وراء زاوية العنف التي تسحق الآخر، وتنغلق أمامه. لكن الأجيال التي أعقبت هؤلاء، انحرفت عن هذا المسار الوسطي باتجاه مناطق خطيرة، فمسيرة الأعلام كان ممكنًا أن يحتفل بها كيوم عيد وطني أصيل، يمثل فرحة الشعب اليهودي بالعودة إلى أصوله التاريخية، على خلفية، وإلى جانب، الصراع المتأصل في ذاكرة الحرب والاحتلال المستمرين. لكن فعليًا أصبح يوم القدس يوم عيد لمجموعة من اليمينيين التقليديين يتعاظم حجمها ولم تعد الأسس الليبرالية جزءًا من هويتها، بل صارت في نظرها تمثل تهديدًا خطيرًا على المجتمع كله، وبالتحديد صار هذا اليوم عيدًا للصهيونية الدينية التي تحتفل بالترانيم في صلاة الفجر، وتنظم وتقود الحدث الرئيس؛ أي رقصة الأعلام، أما بقية الجمهور الإسرائيلي كالكنيست والحكومة التي رسخت هذا اليوم عبر سن تشريع له، فقد أصبحوا ضيوفًا في هذا الحدث».[١٣]

كذلك يتناول بورنشتاين، شكل المسيرة وطبيعة أحداثها، فالمسيرة تنطلق منذ السنوات الأخيرة من «ساحة الكنيس الكبير في ميدان باريس.... عبر الحي الإسلامي وحتى ساحة الحائط الغربي. وأصبحت في السنوات الأخيرة استعراضًا غريبًا وغير معتاد مقارنة بالماضي، فقد باتت مليئة بشهوة العنف التي لم تكن موجودة ربما قبل عشر سنوات، فهناك أمر ما قد تغير في المسيرة وفي الصهيونية الدينية وفي المجتمع الإسرائيلي وفي ديناميكية العلاقات بين اليهود والفلسطينيين في البلاد. والانتقادات العامة من قبل اليسار ومحاولات تغيير مسار المسيرة ذهبت سدى لسنوات. حتى مقاطع الفيديو من المسيرات بكل بؤسها، لم تستطع تغيير شيء (...) ويتم تنظيم المسيرة كل عام، تحت رعاية الشرطة والمحكمة العليا، وكما يقولون لنا «عليكم إن تدركوا أن الوضع بات هكذا»، ومن أجل أن ندرك معنى «هكذا»، وما التهديد

انتقد أحد زعماء التيار الحريدي مسيرة الأعلام، وقال زعيم التيار الليتواني، الحاخام جيرشون إدلشتاين قبل بدء المسيرة الأخيرة في ٢٠٢٢/٥/٢٩ أمام أربعة من أعضاء الكنيست من حركة «ديغل هتوراه» (شريك في تحالف يهدوت هتوراه) «ألا يدركون أنها خطيرة ولا داعي لها»؟ كما تساءل عن إمكانية الامتناع عن دخول اليهود إلى المسجد الأقصى لأن ذلك يعتبر استفزازًا للأمم الأخرى.

الذي يعكسه، علينا أن نسير فيها».[١٤]

بالمقابل يتفق شاركي مع هذه الرؤيا - إلى حد ما - فيقول إن المشاركين في المسيرة حاليًا هم من اليهود الذين يعيشون في القدس أفرادًا وعائلات، لكن المشاركة باتت فرضًا لدى مؤسسات التيار المركزي في الصهيونية الدينية، مثل المدارس الدينية «بني عكيفا»، والمؤسسات الدينية، والمدارس الدينية لإعداد الجنود للخدمة العسكرية، كل هذه تشارك في المسيرة في إطار منظم، وهذا ما قد يكون أضفى الصبغة الدينية على المسيرة، (...) فبالنسبة للصهيونية الدينية، هذا اليوم كيوم «وطني»، ليس منفصلًا عن الجانب الديني، ومن وجهة نظرهم فإن شعب إسرائيل، وأيضًا دولة إسرائيل، تمكنوا من تحرير القدس وعادوا إلى ارض التوراة وإلى يهودا والسامرة.. إلى أريحا ونابلس والخليل، وهذا ما يحتفلون به، فهو حدث ديني أساسًا، تمكن فيه اليهود فجأة من الوصول إلى الحائط الغربي وجبل الهيكل تحت السيادة اليهودية الإسرائيلية، ومن ناحية وطنية فإن هذا يشكل انتصارًا عسكريًا كبيرًا، وربما الأكبر في تاريخ الجيش الإسرائيلي».[١٥]

وعن الحضور الصهيوني العلماني، في المسيرة، يقول شاركي «إن الصبغة الدينية القومية للمسيرة، والفصل بين الذكور والإناث فيها، حوّلاها إلى حدث طائفي ديني قومي، فنأت الصهيونية العلمانية بنفسها عنه، وصار الحدث في إطار تنافسي بين الطرفين، وهذا يشكل إخفاقًا ما بالنسبة لأهمية الحدث [للعلمانيين]».[١٦]

كذلك يلاحظ غياب اليهود الحريديم عن مسيرة الأعلام، ويفسر ذلك موقف أحد كبار قادة التيار الحريدي الحاخام جيرشون أدلشتاين، الذي انتقد المسيرة الأخيرة، واعتبر أنها غير ضرورية وخطيرة.

القدس بدون يهود علمانيين!

وعن هيمنة الحريديم والحردليم (المتدينين القوميين) على المشهد اليهودي في القدس، يشير إلعاد ليفشيتس إلى ما يرى أنها الأسباب الحقيقية لهروب اليهود العلمانيين من المدينة. «من الجيد أن هناك مسيرة أعلام في القدس، لأن ذلك يجعل الجميع يتذكر المدينة، ولو لم يكن إيتمار بن غفير موجودًا لكان من الضروري استحضاره، ليس من أجل الفوضى، ولكن فقط من أجل أن تكون القدس في مركز النقاش. كلهم الآن يحبون القدس، ومتحمسون لها، ويتباهون بها، ويتحدثون عنها، عن المدينة التي خلت من سكانها العلمانيين. فقط قوموا بجولة في المدينة فستجدون أن الأسواق خالية من المقدسيين العلمانيين (اليهود)».[١٧]

ويضيف، «لقد هرب العلمانيون، (...) يعيشون منذ مدة في تل أبيب وجفعتايم وهود هشارون ورعنانا، هم مقدسيون في الشتات، ويحلمون بوطنهم البعيد حيث كانت طفولتهم، ويحلمون بالقدس التي كانت. على هؤلاء أن يحضروا إلى القدس وينظموا مسيرتين، الأولى للمدينة الأبدية، والثانية من أجل المدينة التي كانت ذات مرة لهم».[١٨]

وعن مسيرة الأعلام يقول ليفشيتس «هل ترمز مسيرة الأعلام إلى حقيقة أن القدس لنا؟ نعم، النية هي «لنا»، هي أن نفترض أنها لليهود الإسرائيليين، ولليهود حيثما كانوا. لكن هناك مشكلة واحدة صغيرة: القدس ليست لليهود العلمانيين، هي قدس الحريديم وربما قدس يهود الصهيونية الدينية، وقدس السياح المشهورين مثل عمري كسفي (لاعب سلة معروف).[١٩]

وفي تفاصيل أسباب هروب العلمانيين اليهود من المدينة يشرح ليفشيتس «من الجيد لو يهتف المشاركون في مسيرة الأعلام عن تكلفة السكن في القدس، «القدس لنا، لكن دعونا نعيش فيها»، فإذا كانت مهمة جدًا فيمكن سن أنظمة خاصة بها حول أسعار السكن - تحت الإشراف، وفتح مراكز الترفيه في عطلة السبت - تحت الإشراف، وفتح مصانع وشركات -تحت الإشراف، وتشجيع الاستثمار بإعفاءات مغرية - تحت الإشراف، وفتح مدارس

علمانية - تحت الإشراف، وكمقترح يمكن تعيين ايتمار بن جفير وكسفي مسؤولين عن لجنة الإشراف».[٢٠]

لكن - يقول ليفشيتس- هذا لن يكون، لأن ما يحدث هو خطاب سياسي يقول إن الجميع يهود، والجميع شعب واحد ـ وهذه اللغة تهدف إلى منع أي خطاب حول القدس المحرومة من سكانها العلمانيين، من الجميل أن القول إنهم في إسرائيل أخوة، جميل قول ذلك أمام المرآة، لكن إن كان ذلك صحيحًا، فلماذا تكتظ سوق الشقق في موديعين بالأخوة اليهود العلمانيين المقدسيين؟».[٢١]

رفض يساري وحريدي للمشاركة في المسيرة

على الرغم من الدعم الرسمي والأمني لمسيرة الأعلام، فإن مواقف الأحزاب الإسرائيلية سواء الدينية أو العلمانية تتباين من مسيرة الإعلام، فنجد رفضًا لها في داخل التيارات الدينية، خاصة الحريدية، وكذلك رفضا لها في تيارات صهيونية علمانية من الأحزاب اليسارية، ومن الواضح أن دوافع التيار الديني نابعة من الخلافات بين التيار الحريدي التقليدي والتيار الديني الصهيوني في الفتاوى التي تبيح أو تحرم دخول اليهود إلى ساحات المسجد الأقصى. أما مواقف بعض قادة اليسار فتأتي من منطلقات سياسية، ولتجنب ما قد يؤدي إلى تصعيد للوضع في القدس.

تتباين الفتاوى الدينية اليهودية حول دخول اليهود إلى ساحات المسجد الأقصى، بين من يحرم ذلك على اليهود، وبين من يجيزه، ويشمل هذا الاختلاف مسيرة الأعلام أيضًا، فقد انتقد أحد زعماء التيار الحريدي مسيرة الأعلام، وقال زعيم التيار الليتواني، الحاخام جيرشون إدلشتاين قبل بدء المسيرة الأخيرة في ٢٠٢٢/٥/٢٩ أمام أربعة من أعضاء الكنيست من حركة «ديغل هتوراه» (شريك في تحالف يهدوت هتوراه) «ألا يدركون أنها خطيرة ولا داعي لها»؟ كما تساءل عن إمكانية الامتناع عن دخول اليهود إلى المسجد الأقصى لأن ذلك يعتبر استفزازًا للأمم الأخرى، لكن أعضاء الكنيست موشيه جافني وأوري مكلب ويعكوف آشر وإسحق بيندروس قالوا له إن ذلك لن يساعد».[٢٢]

بالمقابل انتقد أعضاء كنيست من الأحزاب اليسارية مسيرة الأعلام، وقالت وزيرة البيئة تمار زاندبيرغ من ميرتس «إن مسيرة الأعلام في الواقع تشكل خطرًا على حياة الإسرائيليين والفلسطينيين، والجميع ضحايا لها، والقضية ليست رفع العلم في القدس بل دلالات ذلك».[٢٣]

وقال يائير جولان نائب وزيرة الاقتصاد إن: «مسيرة الأعلام باتت منذ زمن تظاهرة قومية تواكبها هتافات الموت للعرب وتخريب ممتلكات، وهذا لا داعي له وهو خاطئ».[٢٤]

كما قال عضو الكنيست موسي راز «إنه مستعد للمشاركة في مسيرة الأعلام إذا كان مسارها في القدس الغربية وليس حسب البرنامج الحالي، فهذا مثير للاستفزاز، ولو سعوا لتنظيم مسيرة ترفع الأعلام الفلسطينية في حي ميئا شعاريم لعارضت ذلك».[٢٥]

في العام ٢٠١٥، تقدمت أحزاب يسارية بالتماس لمحكمة العدل العليا طلبت فيه منع مرور المسيرة من الحي الإسلامي في القدس وقدمت توثيقًا مصورًا يهتف فيه المشاركون في المسيرة «الموت للعرب» مع ممارسات عنيفة، لكن المحكمة رفضت هذا الالتماس باعتبار أن الحدث هذا فردي ولا يمثل جمهور المشاركين في المسيرة، واستمرت المسيرة في العبور من باب العمود، باستثناء عام ٢٠٢٠ حيث ألغيت بسبب جائحة كورونا، ثم جاءت أحداث ٢٠٢١، حيث التوتر في الشيخ جراح، وتهديدات محمد ضيف، ومحاولة حماس الربط بين القدس وغزة، والتهديد بإطلاق صواريخ باتجاه القدس إذا انطلقت المسيرة، حينها قررت حكومة نتنياهو فرض قيود على مسار المسيرة في باب العمود، لكن المسيرة كانت قد انطلقت وانطلقت معها الصواريخ من غزة، فانفضت المسيرة على وقع صوت صفارات الإنذار، واندلعت مواجهة عسكرية في غزة، ومواجهات في الضفة وفي المدن المختلطة.

ولم تخل هذه القضية من الجدل العام الماضي والعام الحالي، ففي العام ٢٠٢١، كان الجدل داخل دوائر متخذي القرار السياسي بشأن «مسيرة الأعلام» على الرغم من التحذيرات الأمنية، كذلك لم تكن المنظومة الأمنية تجمع على موقف واحد، ففيما أعلنت الشرطة أنها وبالتوافق مع قرار المستوى السياسي ونتنياهو شخصًيا وحسب توصيات المسؤولين الأمنيين، قررت تغيير مسار مسيرة الأعلام بحيث لا تمر من باب العمود بناء على توصيات الشاباك والجيش، كشفت صحيفة «يديعوت احرونوت» أن هذا الموقف جاء خلافًا لرأي وزير الأمن الداخلي – السابق - أمير أوحانا وقائد الشرطة يعكوف شبتاي اللذين كانا يريدان أن تمر المسيرة من باب العمود وعدم الرضوخ للتهديدات الفلسطينية. فيما ذكرت صحيفة «يسرائيل هيوم» أن المستوى السياسي تردد في قراره بشأن إمكانية

إلغاء مسيرة الأعلام في ظل التهديدات القادمة من غزة، لكنه في النهاية قرر السماح بتنظيم المسيرة مع تحويل مسارها عن باب العمود، في موازنة لإرضاء القائمين على المسيرة، وفي محاولة لتجنب التصعيد، الذي وقع في النهاية.

لكن في العام الحالي، كان الجدل أقل حدة، فالمستويان السياسي والأمني اعتبرا القضية تحديًا، وقررا الإبقاء على مسار المسيرة إلى باب العمود وداخل الحي الإسلامي، ويبدو أن قراءة المستويين الإسرائيليين للوضع الفلسطيني بشكل عام، والوضع في قطاع غزة بشكل خاص، ساهمت في القرار، إذ كانت التقديرات الأمنية تشير إلى صعوبة دخول الفصائل الفلسطينية في القطاع في مواجهة عسكرية جديدة.

وقبل موعد المسيرة بيومين أجرى رئيس الحكومة الإسرائيلية نفتالي بينيت مشاورات أمنية تقرر بناء عليها الإبقاء على مسار المسيرة كما هو، فيما عبر وزير الدفاع بيني غانتس «عن ثقته أن المسيرة ستمر بسلام، على الأقل من ناحية الجبهة الجنوبية».[٢٦]

خاتمة

تشكل مسيرة الأعلام كحدث خاص في القدس، ووضع القدس بشكل عام من المنظور الصهيوني، مركز نقاش في التحولات في المدينة تجاه فرض الحريديم - والحردليم أجندتهم السياسية – الاجتماعية - الدينية على المشهد اليهودي فيها. فاحتلال القدس - ينظر إليه من وجهة نظر صهيونية على أنه «عملية تحرير»-، قادها حزب العمل اليساري - الليبرالي -العلماني، وخاض معركتها، لكنه هذا الاحتلال في منظور الصهيونية الدينية هو خطوة في الطريق إلى الخلاص، عبر العتق من «الشتات»، تمهيدًا لعودة المسيح.

جمهور الصهيونية الدينية، الذي تبنى حمل هذا التوجه، أزاح التيارات العلمانية عن واجهة الحدث في مسيرة الأعلام تحديدًا، وبات حضور حزب العمل (الذي احتل القدس) والأحزاب اليسارية ككل في مسيرة الأعلام، شبيهًا بمصير حال العلمانيين اليهود في المدينة، إذ وجدوا أنفسهم - إلى حدّ ما - خارج الحيز العام في القدس، وكذلك في مسيرة الأعلام.

حقق حزب العمل وحده في انتخابات العام ١٩٦٩ التي تلت احتلال القدس ٥٦ مقعدًا من أصل ١٢٠ في الكنيست (٤٧٪ تقريبًا)، وكانت الغالبية العظمى في الكنيست لصالح الأحزاب اليسارية، فيما كانت الأحزاب ذات الصبغة الدينية مثل «المفدال» على الهامش بـ١٢ مقعدًا (١٠٪) فقط. بالمقابل في الانتخابات الأخيرة ٢٠٢١ حصلت الأحزاب الدينية (الصهيونية الدينية، شاس، يهدوت هتوراه، يمينا) على نحو ربع مقاعد الكنيست، (٢٩ مقعدًا). وتشير استطلاعات الرأي التي أجريت بعد التصويت التمهيدي على حل الكنيست في شهر حزيران ٢٠٢٢، إلى ثبات وضع الأحزاب الدينية وإمكانية حصولها على ٢٨ – ٢٩ مقعدًا مجتمعة، فيما يكافح حزب العمل حاليًا للحصول على ٥ – ٦ مقاعد فقط.[٢٧]

أما الأحزاب اليمينية بما فيها الشريكة في الائتلاف الحكومي فتظهر الاستطلاعات ذاتها إنها قد تحصل على ٧٢ – ٧٤ مقعدًا.

وهذا يعني أن الأحزاب الدينية (حريدية وحردلية) تشكل ما نسبته ٤٠ في المئة من محصلة أحزاب اليمين في الكنيست، لكنها في الواقع - خاصة في القدس - فرضت أجندتها على الجميع، حتى على اليمين العلماني، وانعكس ذلك أيضًا على مشهد مسيرة الأعلام التي باتت حكرًا على الصهيونية الدينية.

الهوامش

١ – مـور ليفـي، «دقيقـة وراء دقيقـة: اللحظـات الدراميـة لتحريـر البلـدة القديمـة»، موقـع قنـاة ١٢، (بالعبريـة)، ٥ حزيـران ٢٠١٦. انظـر/ي الرابـط: https://bit.ly/3bphHHQ

٢ – مركـز مـدار، «يـوم أورشـليم»، موسـوعة المصطلحـات. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3bphHHQ

٣ – الكنيسـت، «يـوم القـدس»، معجـم الكنيسـت، https://bit.ly/39QtiPu

4 –Maya Margit, "Controversial Jerusalem Day Flag March Has Ancient Roots, Historian Says" , The Medialine 29/05/2022. https://bit.ly/3QEfSXDll.

٥ – قنـاة ١٢، «مسـيرة الأعـلام: مـن طرفـين»، بودكاسـت أحـاد بيـوم، (بالعبريـة)، ٢٩ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3xQUYvL

٦ – إيـاد البرغوثـي، «"مـاذا فعـل الـ"راف كـوك"؟ فكـرة الخـلاص في الصهيونيّـة الدينيّـة»، مـتراس، ٢٠١٨. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/2JdhchB

٧ – المصدر نفسه.

٨ – هيئـة البـث الإسرائيليـة، «نـشرة الأسـبوع: مسـيرة يـوم القـدس»، أرشـيف قنـاة كان، (بالعبريـة)، ٢٨ أيـار ١٩٧٦. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3OHlRZW

٩ – المصدر نفسه.

١٠ – نضـال محمـد وتـد، «تعـرف عـلى تاريـخ «مسـيرة الأعـلام» الإسرائيليـة في القـدس»، العربـي الجديـد، ٢٩ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3nfcvJ1.

١١ – بـن بورنشـتاين، «مسـيرة رقصـة الأعـلام: هـل هـي نهايـة الرؤيـا القوميـة-الليبراليـة»، مركـز مناحيـم بيغـن التراثـي، (بالعبريـة)، ٦ أيـار ٢٠١٨. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/2jyYYeM

١٢ – المصدر نفسه.

١٣ – المصدر نفسه.

١٤ – المصدر نفسه.

١٥ – قنـاة ١٢، «مسـيرة الأعـلام: مـن طرفـين»، بودكاسـت أحـاد بيـوم، (بالعبريـة)، ٢٩ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3xQUYvL

١٦ – المصدر نفسه.

١٧ – إلعـاد ليفشـيتس، «يـوم القـدس: السـبب الحقيقـي لهـروب كل العلمانيـين مـن العاصمـة». موقـع Ice، (بالعبريـة)، ٢٩ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3NuRIMw.

١٨ – المصدر نفسه.

١٩ – المصدر نفسه.

٢٠ – المصدر نفسه.

٢١ – المصدر نفسه.

٢٢ – موقـع والـلا، «زعيـم التيـار الحريـدي ضـد مسـيرة الأعـلام: ألا يدركـون أنهـا خطـيرة ولا داعـي لهـا؟»، (بالعبريـة)، ٢٩ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط https://bit.ly/3QJrc4R

٢٣ – موقـع سـيروجيم، «اسـتفزاز مشـين: أعضـاء في الائتـلاف ضـد مسـيرة الأعـلام»، (بالعبريـة) ٢٦ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط: https://bit.ly/3OsDU6j

٢٤ – المصدر نفسه.

٢٥ – المصدر نفسه.

٢٦ – قنـاة ١٢، «غانتـس: أنـا افـترض أن حمـاس لـن تطلـق النـار أثنـاء مسـيرة الأعـلام هـذه المـرة». (بالعبريـة)، ٢٩ أيـار ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط: https://bit.ly/3HVihJf.

٢٧ – معاريـف، «اسـتطلاعات الـرأي لانتخابـات ٢٠٢٢...»، ٢١ حزيـران ٢٠٢٢. انظـر/ي الرابـط التـالي: https://bit.ly/3ngNyNl